شواهد جديدة .. على الإعجاز العلمى للقرآن

إن القرآن الكريم يحتوى على مئات الآيات الكونية . وكل هذه الآيات . حتى التى تتحدث عن ظواهر كونية ستحدث مستقبلا . تنطق . أو هى نطقت قبل أربعة عشر قرنا من الزمان . بما تنطق به أمهات كتب الطبيعة والفلك الحديثة . من حقائق علمية ثابتة ثبوتا قطعيا ! !

د. منصور حسب النبى
رئيس قسم الطبيعة

د. منصور حسب النبى

من حقائق علمية ثابتة ثبوتا قطعيا . وبطبيعة الحال لا يتسع المجال هنا لتناول تلك الآيات كلها . ولهذا أن أتمكن قريبا من إصدار كتاب لهذا الغرض . يتناول الكون بين العلم والقرآن . أما الآن فحسبى أن أشرك القارئ معى فى تأمل بعض النماذج التى تؤكد ما أذهب إليه .

انشقاق القمر

□ يقول الله تعالى فى مطلع سورة القمر « اقتربت الساعة وانشق القمر »

ورغم أن بعض المفسرين يقولون إن القمر قد انشق فعلا فى زمن الرسول ﷺ كأحدى معجزاته . فإن البعض الآخر من المفسرين يرى أن التعبير بالفعل الماضى عن حدث ما . يستخدم عادة فى الأصل البلاغى فى مقام التعبير عن المستقبل تأكيدا لتحققه وقوعه . ولهذا فإن الرأى الأرجح هو الذى يجعل انشقاق القمر فى المستقبل مقترنا بقيام الساعة أو مقدمة لها . ولأسباب كثيرة فإنى أفضل هذا الرأى . منها أن منهج الإسلام قوامه مخاطبة العقل بالدليل والبرهان لا بالمعجزات والآيات المادية الخارقة التى كذب بها الأولون . مصداقا لقوله تعالى فى سورة الإسراء . . .

. وما منعنا أن نرسل بالآيات . الا أن كذب بها الأولون »

والعلم الحديث يقرر أن انشقاق القمر فى المستقبل كمقدمة لاختلال نظام الكون . أمر مؤكد . نظرا للتغير التدريجى للعلاقة بين الأرض والقمر . بتأثير عوامل مختلفة . أهمها ظاهرة المد والجزر .

فمن المعروف أن هناك جذبا متبادلا بين الأرض والقمر . وتؤدى قوة جذب الأرض للقمر إلى دورانه حولها . الأمر الذى نشأ عنه قوة طاردة مركزية توازن جاذبية الأرض له . فيستمر فى الدوران فى انتظام . أما قوة جاذبية القمر للأرض فتؤدى إلى ظاهرة المد والجزر . حيث يعمل القمر على جذب مياه البحار والمحيطات أثناء مواجهتها له . فيحدث المد وتدور الأرض حول نفسها بهذا الماء الممدود « المشدود » . ليواجه القمر ماء آخر على سطح الأرض فيصيبه المد بجذب القمر . ويهبط الماء الأول بعد أن فاته القمر فيصيبه الجزر من بعد المد . وهكذا تدور الأرض . فيتارجح جذب القمر لسطوحها المائية . ويعوق مازما بالقمر . فيعوق هذا التعلق الأرض فى دورانها . تماما كالرحل يدور حول نفسه . وتسلك أمت بأطراف لوبه . وكلما أفلت من يدك طرف أمسكت بطرف آخر . فهذا يعوق دوران الرجل حول نفسه .

ولكن هذا التعويق اليومى لدوران الأرض حول نفسها . ضئيل للغاية . ولا يتجاوز ٠,٠٠٢ من الثانية كل مائة سنة ! ورغم هذا فقد تراكم هذا التعويق عبر ملايين السنين . لدرجة أن يوم الأرض بعد أن كان عند نشأتها أربع ساعات . أصبح الآن أربعا وعشرين ساعة . وسيزداد طول اليوم زيادة محسوسة بعد ملايين السنين فى المستقبل . وحيث إن هذا التعطيل سوف يؤدى إلى نقص كمية التحرك الدورانى للأرض فإن كمية التحرك الدورانى للقمر لابد أن تزداد (طبقا لقانون ثبوت كمية التحرك لأية مجموعة مرتبطة بعضها كالأرض والقمر مثلا) . وبهذا فإن القمر سوف يسرع فى الدوران مما يؤدى طبقا لحسابات تفصيلية إلى ابتعاده أولا عن الأرض ثم يتطور الوضع إلى اقترابه منها . حتى يصل إلى مكانه قريب لدرجة أن الفرق فى جذب الأرض للقارة على الجزء القريب والبعيد من القمر . يشق القمر شقا فشقا ! !

فكيف يستطيع سيدنا محمد ﷺ . وليست معه الوسائل العلمية النظرية والعملية لذلك . أن يتعرض لظاهرة انشقاق القمر وغيرها من الظواهر الكونية ؟

تكور الشمس

□ من المعروف علميا أن الشمس نجم متوسط من النجوم . وحجمها الحالى أكبر من حجم الأرض مليون مرة . وأن أى نجم يمر فى مراحل تطوره بفترات الميلاد والطفولة والشباب والشيخوخة والوفاة ويتوقع العلماء أن الشمس ستطور عند شيخوختها إلى نجم عملاق أحمر !

حيث تزداد درجة حرارة باطنها إلى مائة مليون درجة . فتتمدد كرة الشمس الحالية . وتزداد مساحة سطحها الخارجى . بحيث تبتلع كواكب عطارد والزهرة . باعتبارهما أقرب الكواكب لها . بل سيصل غلافها الخارجى إلى أفق السماء . ويبتلع القمر أيضا . وتحرق الشمس بذلك جو الأرض بغازاتها الحامية المسخرة وتصل درجة حرارة سطحها إلى حوالى ٣٠٠٠ درجة مئوية . نظرا لانتشار الحرارة على سطح أكبر

ملايين الدرات من سطحها الخارجي ، ويصبح لونها أحمر ، وتسمى الشمس في هذه الحالة بالعملاق الأحمر .

بعد أن تكور وتنتفخ سطحها إلى الخارج ، تأمل معي هذه الآيات القرآنية الكريمة التالية :

« إذا الشمس كورت » وقوله تعالى : « فارتقب يوم تأتي السماء بدخان مبين » . « فإذا انشقت السماء فكانت وردة كالدهان » . أي إذا انشقت السماء فكانت حمراء كالكرسيت المذوق !

وقوله تعالى :

« فإذا برق البصر وخسف القمر وجمع الشمس والقمر » يقول الإنسان يومئذ أين المفر ؟ .

وقد تشير هذه الآية إلى اختفاء القمر في باطن الشمس ، عند تحولها إلى عملاق أحمر يخطف الأبصار ، ودفعة الإنسان عندئذ في الفرار من شدة الحرارة التي تصل إلى آلاف الدرجات بالقرب من سطح الأرض مما يؤدي إلى اشتعال مياه البحار ، نظرا لتحلل الماء إلى عنصريه : الأيدروجين القابل للاشتعال ، والأكسجين المساعد على الاشتعال ، مصداقا لقوله تعالى :

« وإذا البحار سجرت » .

هذا عن شيخوخة الشمس وتكورها إلى عملاق أحمر .

أما عن ولادة نجم الشمس ، فسوف تتحول علميا نفس هذا الحدث إلى قزم أبيض بتكورها وتكثفها بالجاذبية إلى الداخل ، حيث يصغر حجمها جدا ، وتكثر بهائيا ، ويحير علماؤها وصدق الله العظيم بقوله تعالى :

« إذا الشمس كورت وإذا النجوم انكدرت » .

هذه هي علامات الساعة ، يعرضها القرآن الكريم في إعجاز علمي رائع ، يتفق ونظرة العلم الحديث .

حقا إن الكون الخالق نظام وإحكام ودقة ، ولكن هذا النظام الكوني العظيم الذي يشبه العقد المفصول ، سوف يحدث له في النهاية خلل يؤدي إلى انفراط حباته ، عندما ينقطع الخيط الواصل بين حباته في أي جزء منه .

فهل قرأ سيدنا محمد ﷺ كتب الفلك الحديثة ليعرف انشقاق القمر ، وتكور الشمس إلى الخارج أو الداخل ، لتتحول إلى عملاق أحمر ، ثم إلى قزم أبيض ؟ ! ألا ساء ما يحكم الكافرون . ثم أليس في ذلك الدليل الأكيد على أن القرآن الكريم من لدن عليم حكيم ، يعلم كل شيء في الكون ، لأنه خالقه وبارئه ؟

هذه بعض النماذج التي رأينا الإشارة بها تدليلا على الإعجاز العلمي للقرآن ، وهناك غيرها الكثير والكثير ، مما نأمل أن نتناوله في مناسبات قادمة ، إن شاء الله ☐

وجادلهم بالتي هي أحسن

حكم القاضي شريح ضد أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ، في أمر سيف تنازعه علي مع يهودي ، ولم يقدم علي بينة على دعواه ، فأدهشت عدالة الإسلام اليهودي ، فآمن به أمام هذا القاضي النزيه !

إبراهيم مصباح

« ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة ، وجادلهم بالتي هي أحسن » .

كما أكد الإسلام حرية العقيدة لغير المسلم ، مصداقا لقوله تعالى : لكم دينكم ولي دين وأعطى غير المسلم ـ مسيحيا كان أو يهودا حقوقه كاملة في العقيدة وغير العقيدة . وقال الرسول ﷺ : من عاذى ذميا فقد عاذاني .

وتجلت هذه المعاني في رواجه ﷺ من مارية القبطية ، وفي قوله هذا المقوقس عظيم القبط ، وفي وصيته ﷺ بهم ، حيث قال :

انكم ستفتحون مصر ، فاستوصوا بأهلها خيرا ، فإن لكم فيها نسبا وصهرا .

والنسب : يرجع إلى هاجر المصرية زوج إبراهيم عليه السلام ، وأم اسماعيل عليه السلام ، الذي تفجر ماء زمزم من تحت رجليه ، عندما أجلس هو وأمه بالعقش ، وذلك كما حدثنا التاريخ الواثق .

والصهر : يرجع إلى مارية القبطية هدية المقوقس إلى رسول الله ﷺ ، وزوجه ، وأم إبراهيم بن محمد الرسول الأمين ، وهي من قرية قرب الأشمونين بمحافظة المنيا ، من صعيد مصر .

ومن هذه المعاني الكبار على مدار تاريخ الإسلام ، ما رواه التاريخ الواثق ، من أن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، عندما تسلم بيت المقدس من « البطريك صفر نيوس » ، رفض أن يصلي في كنيسة القيامة ، رغم دعوة البطريك له أن يصلي بها . وقال عمر قولته الشهيرة على مدى عصور التاريخ :

أخشى أن أصلي هنا ، في كنيسة القيامة ، فيأتي من بعدي من المسلمين ، من يقول : صلى هنا أمير المؤمنين ، ويتخذونها مسجدا !

هذه بلا ريب بعض صور العدالة ، والسماحة في الإسلام ، على سبيل المثال لا الحصر ، وفي هذا المجال يقرر الباحث الإسلامي الشيخ محمود حسنين العيسوي ، أنه ، لا شك مختص في أن قوة الإسلام وشدة جاذبيته في مسألة من مسائله ، وسماحته نحوه مما يجعله ، يسيرا له وسهلا عليه ، ولا يشك كذلك في أن طغاة الإسلام إلى يوم الدين في عدله وروائعه ، يحب الإنصاف ويكره الإجحاف ، من غير تفرقة بين مسلم وغير مسلم ، أو بين قريب وبعيد ، أو بين جار ذي قربى وجار جنب ، لشهد بذلك قصة يهودي اتهم ظلما بسرقة على عهد رسول الله ، فاستأنف الله حكم رسوله ليدبره على طائفة ممن ادعى الإسلام ، وأنزل قوله : « ومن يكسب خطيئة أو إثما ثم يرم به بريئا فقد احتمل بهتانا وإثما مبينا » ، وقصة يهودي آخر حكم له القاضي شريح ضد أمير المؤمنين علي بن أبي طالب في أمر سيف تنازعاه ، ولم يقدم علي بينة على دعواه ، فأدهشت اليهودي عدالة الإسلام فآمن به أمام هذا القاضي النزيه .

د . محمود حسنين العيسوي

وهذا نصراني في عصر عمر بن أحد أبناء واليها عمرو بن العاص وهو يقول : « أنا ابن الأكرمين » فدعا الجميع عمر بن الخطاب إلى المدينة ، ولما تبين له وجه الحق قال للنصراني : اضرب ابن الأكرمين ، ثم قال لأبيه عمرو بن العاص قولته الخالدة : « متى استعبدتم الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحرارا ؟ » .

والإسلام بين مسالمه ومسالمته يؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله ، لا يفرق بين أحد من رسله ، في أنحاء كثيرة مشرقات من رسوله الكريم ، مثل ومثل الأنبياء من قبل كمثل رجل بنى بيتا فأوضع لبنة في إحدى زواياه ، فجعل الناس يطوفون ويقولون : ما أجمله ، ما أحسنه ، لولا هذه اللبنة ، فأنا اللبنة وأنا خاتم النبيين ، وجمع ﷺ يقول لعباس العصران حارس بستان أولاد ربيعة بالطائف ، وقد قدم له قطفا من العنب ، « أأنت من قرية أخي يونس ؟ قال نعم وأنا بي » ويقول أيضا ، الأنبياء إخوة أبناء علات « ضرائر » شتى وأبوهم واحد ، يعني الإسلام .

وأعظم ما أنزل على رسول الله في هذا المجال ، قل آمنا بالله وما أنزل علينا وما أنزل على إبراهيم وإسماعيل وإسحق ويعقوب والأسباط وما أوتي موسى وعيسى والنبيون من ربهم لا نفرق بين أحد منهم ونحن له مسلمون » .

وهذه الوحدة الواضحة في الله ورسله ، كان المؤمن بها مسلما قبل مولد نبي الإسلام ومبعثه . قال تعالى : ووصى بها إبراهيم بنيه ويعقوب يابني إن الله اصطفى لكم الدين فلا تموتن إلا وأنتم مسلمون » .

وتحت المعاني الكريمة في قول الرسول الكريم « من عادى ذميا فقد عاداني » وفي تلقيه عن ربه ما يوجب مودة أهل الكتاب ، اليوم أحل لكم الطيبات وطعام الذين أوتوا الكتاب حل لكم وطعامكم حل لهم والمحصنات من المؤمنات والمحصنات من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم إذا آتيتموهن أجورهن محصنين غير مسافحين ولا متخذي أخدان » .

وكان مؤثرا من رسول الله صلوات الله وسلامه عليه أن يقف لجنازة يهودي حاربه ، مرت عليه ، فقالوا إنه يهودي وقد حاربك ، فقال « أليس إنسانا ؟ » وما أكرم أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه حين أعطى شيخا يهوديا من بيت مال المسلمين وقال له : أعطانا منك الجزية شابا فلما تركك شيخا .

ولم تقف مودة الإسلام عند أهل الكتاب فحسب ، بل تجاوزتهم إلى المسالمين من المشركين حين نظامت « بنيلة » إلى صديقات أبي بكر بعد أن فارقها لإصرارها على شركها ، فأنزل الله على نبيه من سورة الممتحنة ، لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين ولم يخرجوكم من دياركم أن تبروهم وتقسطوا إليهم إن الله يحب المقسطين ، إنما ينهاكم الله عن الذين قاتلوكم في الدين وأخرجوكم من دياركم وظاهروا على إخراجكم أن تولوهم ومن يتولهم فأولئك هم الظالمون » .

ولما سألت ابنتا أسماء من أبي بكر رسول الله : هل تعطي أمها المشركة من صدقات أبيها المسلم ؟ أجاب الله فورا بالآية الشريفة من سورة البقرة « ليس عليك هداهم ولكن الله يهدي من يشاء وما تنفقوا من خير فلأنفسكم وما تنفقون الا ابتغاء وجه الله وما تنفقوا من خير يوف اليكم وأنتم لا تظلمون » ☐